

القَصَصُ الدِّيْنِي  
الحلقة الأولى  
قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

# نَاقَةُ صَالِح

عبد الحميد جودة السحار

بعد هلاك قبيلة عاد - قوم هود - لم توجد قبيلة  
 مثلها قوية غنية ، إلى أن ظهرت قبيلة ثمود ، فى  
 شمالى بلاد العرب ، فى جهة تسمى الحجر ، وهى  
 بين المدينة المنورة والشام .

هذه القبيلة كانت تعيش فى وادٍ خصيب ، تنبت  
 فيه الحقائق المثمرة اللطيفة ، والمزارع الخضراء  
 الواسعة ، وبساتين النخيل التى تمتد مسافات كبيرة ،  
 وتطرح بلحا ، وتمرا لذيذا حلوا سريع الهضم .

وقد بنوا القصور فى أرض الوادى ، ونحتوا فى  
 الصخر فى الجبال المحيطة به بيوتا كاملة ، كل  
 حوائطها وسقفها وأراضيها صخر متين ، لا يهدم  
 ولا يتحطم .

وعاشُوا عيشَةً ناعمةً في رَغَدٍ وهَناءٍ فترةً  
طويلةً ، حتى نَسُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَاهُمْ كُلَّ هَذِهِ  
النَّعْمِ ، وَنَحَتُوا مِنَ الصُّخُورِ أَصْنَامًا وَعَبَدُوهَا ،  
واعتَقَدُوا أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ آخِرَةٌ ، وَلَا ثَوَابٌ وَلَا  
عِقَابٌ ، وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ وَضَلُّوا .

عند ذلك أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ اسْمُهُ صَالِحٌ .  
وَكَانَ رَجُلًا طَيِّبًا عَاقِلًا ، وَكُلُّهُمْ يَعْرِفُونَهُ ، وَذَلِكَ  
لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الظُّلْمِ وَالْفُسَادِ ،  
وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَلِهَةِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي  
يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُمْ  
كُلَّ هَذِهِ النَّعْمِ ، وَجَعَلَهُمْ أَقْوَى قَبِيلَةٍ وَأَغْنَاهَا بَعْدَ  
عَادِ قَوْمِ هُودٍ ، الَّذِينَ هَلَكُوا عِنْدَمَا عَصَوْا اللَّهَ  
وَكَفَرُوا بِنِعْمَتِهِ .

جَمَعَ صَالِحٌ قَوْمَهُ وَقَالَ لَهُمْ :

- يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ،  
وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادَ ، وَبَوَّأَكُمْ مِنْ  
الْأَرْضِ ( أَيْ أَعْطَاكُمْ الْأَرْضَ ) تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا  
قُصُورًا ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا . فَاذْكُرُوا آلَاءَ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ ( أَيْ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) وَلَا تَعْثَوْا فِي  
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ( أَيْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ) .

قَالُوا : يَا صَالِحُ ، أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرُكَ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ الَّتِي  
وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَعْبُدُونَهَا ؟

قَالَ لَهُمْ : إِنَّ هَذِهِ الْآلِهَةُ لَا تَعْطِيكُمْ شَيْئًا ، وَلَا  
تَأْخُذُ مِنْكُمْ شَيْئًا . فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهَا وَهِيَ لَا تَضُرُّكُمْ

ولا تنفعُكم ؟ ألا تفكرون بعقولكم قبل أن تعبدوا ما كان يعبدُ آباؤكم ؟

عند ذلك آمن به جماعةٌ من قومه ، وهم من الناس الفقراء الطيبين ، الذين لا يتكبرون ولا يعاندون ، أما الأغنياء الظلمة فقالوا :

- يا صالح ، لقد كنّا نحترِمُك قبل أن تقول هذا الكلام ، وتطلبَ منا أن نتركَ آلهتنا وآلهة آبائنا ؛ ولكن خاب ظننا فيك ، ولا بد أنك أُصِبتَ بالجنون .

قال : يا قوم إننى لست مجنوناً ، وما أريدُ إلا هدايتكم ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر ، إنَّ أجرى إلا على ربِّ العالمين . وقد آمنَ الناسُ الطيبون ، فلماذا لا تؤمنون ؟

قال الملأ الذين استكبروا من قومه ، للذين

اسْتَضَعِفُوا و آمَنُوا مِنْهُمْ : اَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ  
مِنْ رَبِّهِ ؟

قالوا : إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ .

قال الذين استكبروا : إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ  
لَكَافِرُونَ .

### ٣

ولم يَسْكُتْ صَالِحٌ ، فَكَانَ كُلَّمَا قَابَلَ وَاحِدًا أَوْ  
جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِ يُرْشِدُهُمْ وَيَنْصَحُهُمْ ، فَبَعْضُهُمْ يُؤْمِنُ ،  
وَبَعْضُهُمْ يَكْفُرُ .

وَكَانَ الْكَفَّارُ يَقُولُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ : هَلْ تَظُنُّونَ أَنَّ  
الْكَلَامَ الَّذِي يَقُولُهُ صَالِحٌ صَحِيحٌ ؟ وَأَنْ هُنَاكَ إِلَهًا  
يُحْيِينَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ نَمُوتَ ، وَيَحَاسِبُنَا عَلَى  
أَعْمَالِنَا فِي الدُّنْيَا ؟ لَا .. لَا تُصَدِّقُوا ، فَإِنَّا لَا نَعِيشُ

إلا مرة واحدة في هذه الأرض ، فإذا متنا فلن نحيا مرة أخرى .

كذلك كانوا يقولون لهم : لا تصدّقوا صالحا فقد كان رجلا عاقلا ولكنه أصيب بالسحر ، وأصبح مجنونا ، يقول كلاما غير معقول ، فلا تصدّقه .

أما صالح فكان يقول للناس : لا تُطيعوا الأغنياء المفسدين المتكبرين ، وتعالوا معي ليرضى الله عنكم ، ويترك لكم النعم التي أعطاهم لكم ، نعم الحقائق والزروع ، والقصور والبيوت .

ولما كثر الكلام بينهم وبين صالح قالوا له :  
— إذا أردت أن نؤمن برّبك ، فأظهر لنا معجزة ، تدل على أنك رسول من عند الله ، فكل الأنبياء الذين قبلك جاءوا للناس بمعجزة تدل على صدقهم فيما يقولون .

دعا صالحُ ربَّه أن يعطيه معجزة ، تدلُّ على أنه نبيُّ  
ورسول ، وقال :

- يا ربِّ ، إن قومى كذَّبُونى ، ولم يؤمن بى منهم  
إلا قليل ، أما الآخرون فقد سمعوا كلامَ الأغنياءِ  
المستكبرين . فأعطينى معجزةً يصدق بها الجميع .  
قال له ربُّه : قلْ لقومك يجتمعوا عند الصخرةِ  
العظيمة خارج المدينة . وهناك ستظهر لهم المعجزة ،  
وستكون ناقةً ضخمةً جداً ، لم يروا مثلها ناقةً من  
قبل ، ضرعها ملىءٌ باللبن الذى لا ينتهى أبداً مهما  
حلبوا منه .

ولكن اشترط عليهم شرطين اثنين : أن يتركوا لها  
الماء كله يوماً ، ويشربوا منه يوماً ، فهذه الناقة

ستشرب من الماء قدرَ ما يشربون هم جميعا .  
وعاد صالحٌ إلى قومه فأخبرهم ، ودعاهم أن  
يخرجوا إلى الجبل ، وينتظروا ظهور المعجزة هناك ،  
على الشروط التي شرطها الله عليهم .  
فأما المؤمنون من قومه ، فقد فرحوا لهذا الخبر ،  
وقالوا : إنَّ الله سيظهر الحقَّ ويؤيِّد نبينا صالحا  
والذين آمنوا معه .

وأما المستكبرون الكفار . فقالوا : كلامٌ فارغ !  
وجنونٌ كامل . وهل يُمكن أن تكون هناك ناقةٌ  
تشربُ هذا المقدارَ العظيم من الماء ، وضرعُها لا  
يجفُّ من اللبن ؟ ألم نقل لكم : إنه مجنون ؟  
وأما بقيةُ الناس فقالوا : هيا بنا إلى الجبل لنرى  
صدقَ صالح من كذبه . ونتأكَّد إن كان نبيا مُرسلا ،  
أم رجلا مجنونا .

وخرج الجميع إلى الصخرة ، ووقفوا ينتظرون .

٥

ونظر الجميع فإذا بالناقة تخرج عليهم ، وهي  
تحدث رغاءً عاليًا ، وتسير أمامهم وقد اصطفوا صفًا  
طويلاً ، وهم ينظرون إليها في دهشةٍ واستغراب ،  
ويروْنَ ضرعها مليئًا باللبن .

وكانت النساء قد أحضرت القدورَ لحلبِ اللبن ،  
فتقدّمت واحدةٌ تحلب حتى يمتلئَ إناءُها ، والضرر  
مليءٌ باللبن كما كان .

ثم قصّدتِ الناقة إلى الماء الذي يشربون منه ، فلـ  
ترفعُ رأسها حتى شربت آخرَ نقطةٍ منه ، وهـ  
ينظرون ويتعجبون .

عندئذٍ صاح الناس : صدق صالح . صدق  
صالح . إنه رسولٌ من عند الله ، وهذه ناقة الله .  
وأما المتكبرون الكفار فقد اغتاظوا غيظاً شديداً ولم  
ينطقوا بكلمة واحدة ، وازرقت وجوههم من  
الكمَدِ والألم ، وانصرفوا .

٦

عاشت الناقة العجيبة بين قوم صالح ، تأخذ منهم  
الماء يوماً وتتركه يوماً ، وفي نظير ذلك تُعطيهم اللبن  
الذى يريدونه لهم ولأطفالهم ، ولا يجفُّ ضرعها من  
اللبن أبداً .

وصالح مسرور ، يقول للناس : هذه ناقة الله لكم  
آية . فذرُّوها تَأْكُلْ في أرض الله ولا تَمْسُوها  
بسوءٍ ، فيأخذكم عذابٌ يومٍ أليم .

وكان في المدينة تسعة من المفسدين ، يعملون  
أعمالا رديئة ، ويفسدون في الأرض ، ويشربون  
الخمير ، ولا يؤمنون بالله .

وفي ليلة اجتمعوا وسكروا وقالوا : لا يجوز أن  
نترك صالحا وناقته هكذا . فهذه الناقة تضايقنا ،  
وتأخذ منا الماء ، وتحرمنا نصفه دائما . فتعالوا نقتلها  
ونقتل صالحا وأهل بيته لنستريح منهم جميعا .  
قال أحدهم : ولكن أقارب صالح سيأخذون الشر  
إذا نحن قتلناه .

قال آخر : هناك حيلة أرشدكم إليها . نقتل الناقة  
ونقتل صالحا وأهل بيته في ظلام الليل ، فلا يرونا  
ولا نراهم بسبب الظلام ، فإذا سألنا أحدا من أقربائه  
قلنا : نحن لم نبصره ولم نبصر أحدا من أهل بيته .  
ونحن صادقون لأننا لم نبصرهم في الظلام ، وأقرباؤه  
لم يعرفوا من الذي قتله .

وقبل الفجر ذهبَ أحدهم فرمى الناقة بسهم ،  
 فصرخت صرخة عظيمة ، فسَمِعَهَا صالح ، فقام من  
 نومه مفزوعا ، وجاءَ معه الناسُ الذين سَمِعُوا صرخة  
 الناقة ، فهرب التسعة المفسدون .  
 ووجد صالحُ ناقته مقتولة ، فحزن حزنا شديدا ،  
 وعرف أنَّ الله سيعاقب ثمود على فعلتها .  
 وقد أوحى الله إليه أنَّ يأخذ المؤمنين معه ، ويَّعْدُ  
 عن المدينة ، لأنَّ الله سيُهْلِكُ من فيها بعدَ ثلاثة أيام .  
 فقال لقومه : لقد غضِبَ الله عليكم ، وبعدَ ثلاثة  
 أيام يحلُّ عليكم العذاب .  
 ولما انقضت الأيام الثلاثة ، سَمِعَ الناسُ صرخةً  
 عظيمةً هائلةً مخيفةً ، فارتجفوا وخافوا ، حتَّى إنَّ

قلوبهم تقطعت وسقطت من الرعب ، وانحنوا على  
رُكبتهم من شدة الألم ، وماتوا وهم على هذه  
الصورة .

وبقيت منازلهم المنحوتة فى الصخور . شاهدة  
عليهم ، وعلى ظلمهم وكفرهم ، والعذاب الأليم  
الذى حلَّ بهم .